جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل/ كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدَيْنِ

مجلة فصليَّة علميَّة مُحكَّمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

العدد الرابع والثمانون/ السنة الواحدة والخمسون
رَجب – ١٤٤٢هـ / آذار ٢٠٢١م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢
ISSN 0378- 2867
E ISSN 2664-2506

للتواصل:
radab.mosuljournals@gmail.com
URL: https://radab.mosuljournals.com

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: الرابع والثمانون السنة: الواحدة والخمسون رَجب – ١٤٤٢هـ / آذار ٢٠٢١م

رئيس التحرير: الأُستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأُستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيبانيّ (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير:

الأُستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي	(علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الأَنبار/العراق
الأُستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن	(الترجمة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرايبة	(اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأُردن
الأُستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأُستاذ الدكتور كلود فينثز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا
الأُستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية
الأُستاذ الدكتور نايف محمد شبيب	(التاريخ) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتورة سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأُستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأُستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندريّة
الأُستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأَدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأُستاذ المساعد الدكتورة أَسماء سعود إدهام	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
المدرس الدكتور هجران عبدالإله أَحمد	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: أ.د.لقمان عبدالكريم ناصر – مقوّم لغوي/ اللغة الإنكليزية

أ.م.د.أَسماء سعود إدهام – مقوّم لغوي/ اللغة العربية

المتابعـــــــة: مترجم.إيمان جرجيس أَمين – إدارة المتابعـــــة

مترجم.نجلاء أَحمد حسين – إدارة المتابعـــــة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup .

٢- بعد التسجيل ستُرسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنَّه سجَّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=login .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلَّق به وببحثه ويمكنه الاطِّلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

- تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأَشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذُكر آنفًا .
- تُرتَّب الهوامش أَرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
- يُحال البحث إلى خبيرين يرشِّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأَخير، وترجيح جهة القبول أَو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونيَّة ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلِّف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

- يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .
- يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أَبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
- يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلَّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنَّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمَّا الشروط العلميَّة فكما هو مبيّن على النحو الآتي :

- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنوانها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليَّة البحث) .
- يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثيَّة أو فرضيَّات تعبِّر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلِّها أو دحضها علميًّا في متن البحث .
- يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأن يحدِّد الغرض من تطبيقها.
- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
- يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتَّبع فيه .
- يجب مراعاة تصميم البحث وأُسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.
- يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
- يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكُّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنَّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكَّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبِّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكريَّة ولا تعبِّر بالضرورة عن آراء هيأة التحرير فاقتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتـويـات

العنـوان	الصفحة
بحوث اللغة العربية	
الأشعار الأندلسية المتنازَع في نسبتها أ.د. صلاح جرار و م.د. رشأ الخطيب	١ - ٥٢
تمثلات النسق الشعري في قصيدة مكابدات ليلى في العراق لبشرى البستاني أ.م.د. إخلاص محمود عبدالله	٥٣ - ٨٠
الخِطاب المقدِّماتي عند الناقد عزالدين إسماعيل أ.م.د. رائد فؤاد طالب الرديني	٨١ - ١١٨
ظاهرة التصغير في معجم الصحاح للجوهريّ(ت ٣٩٣هـ) دراسة وصفية تحليلية أ.م.د. نبيلة شكر المعاضيديّ	١١٩ - ١٩٠
الإخوانيات عند شعراء من الإمارة الحميدية الكردية أ.م.د. رشاد كمال مصطفى كمال العقراويّ	١٩١ - ٢٢٠
المباحث الدلالية عند ابن فارس في كتاب ((الصاحبي)) م.د. عبدالرحيم أحمد الأَمين	٢٢١ - ٢٤٦
الأدب الأندلسي في دراسات بالنثيا: كتاب (تأريخ الفكر الأندلسي) مثالاً م.د. سعدية أحمد مصطفى	٢٤٧ - ٢٦٦
الْتَّوْثِقُ الْلُّغَوِيُّ عِنْدَ الأَزْهَرِيِّ فِي كِتابِهِ (تَهْذيبِ الْلُّغَةِ) - الْرُّؤْيَةُ والمُشَاهَدَةُ أَنموذَجًا – م.م. فاتن محمد خيري الحياليّ	٢٦٧ - ٢٩٦
الجُذور الثُّلاثيَّة التي زادت على ثلاثةِ معانٍ في مقاييس اللُّغةِ- أَلفاظ الذّهاب أُنمُوذجًا م.م.وضَّاح علي الجحيشي	٢٩٧ - ٣١٢
بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية	
مصطفى اسماعيل ودوره في سقوط تونس ١٨٥٣-١٨٨١ أ.م.د. سعد توفيق عزيز البزاز	٣١٣ - ٣٣٠
العلاقات الليبية- السوفيتية ١٩٦٩-١٩٩١ أ.م.د. نهاية محمد صالح	٣٣١ - ٣٥٦
العلاقات اليوغسلافية - الأمريكية إبَّان حكم جوزيف بروز تيتو (١٩٤٥-١٩٨٠م) م.د. عبد شاطر عبد الرحمن المعماري	٣٥٧ - ٣٩٠
دور الأَتـراك السياسيّ والعسكريّ في عصر أمرة الأُمـراء (٣٢٤ – ٣٣٤هـ/ ٩٣٦– ٩٤٦م) م. إسماعيل محمد الجبوريّ	٣٩١ - ٤١٠
مشروع دولة اليونان الكبرى ١٨٣٠- ١٩٢٢ م.م . أَكرم جمعة صالح	٤١١ - ٤٤٠
بحوث علم الاجتماع	
الشرطة المجتمعية وآليات التعامل مع الجرائم المستحدثة حسن انهيّر عيدان أ.م.د. وعد إبراهيم خليل	٤٤١ – ٤٦٨

بحوث المعلومات والمكتبات	
قياس جودة الخدمات المكتبية باستخدام (LibQUAL+®): المكتبة المركزية لجامعة بغداد أنموذجًا م.د.تيسير فوزي رديف	٤٦٩ – ٥٠٦
بحوث القانون والعلوم السياسيّة	
الإعلام ودوره في السلم الأهلي م.هدى هادي المجمعيّ	٥٠٧ – ٥٣٠

الإخوانيات عند شعراء من الإمارة الحميدية الكردية

أ.م.د. رشاد كمال مصطفى كمال العقراويّ *

تأريخ التقديم: ٢٠٢٠/١٠/١٥ تأريخ القبول: ٢٠٢٠/١٢/٢٦

المستخلص:

يدرس البحث شعر مجموعة من الشعراء الكرد الذين نظموا الشعر باللغة العربية ، وعاشوا في ظل الإمارة الحميدية الكردية، التي تأسست بين القرنين الرابع والثامن الهجريين في منطقة عقرة بإقليم كردستان العراق، وبالتحديد بين نهري الخازر والزاب الكبير، وجاءت تسميتها – وفق رأي أغلب الدارسين– من اسم قبيلة (حميدية) الكردية التي حكمت المنطقة وأسست هذه الإمارة.

يهدف البحث إلى دراسة ظاهرة الإخوانيات في شعر هؤلاء الشعراء، كونها الغرض الشعري الطاغي على شعرهم، وقد ازدهر هذا الغرض في أواخر العصر العباسي، وفي بداية العصور المتأخرة، ويدور حول العلاقات الاجتماعية، فيصور المراسلات والتهاني والود والصداقة، فضلاً عن الاعتذار والعتاب والشكوى.

أما أهمية البحث فتكمن في تناوله لشعراء كرد أسهموا في خدمة الأدب العربي، ولم يدرس شعرهم – بحسب علمنا واطلاعنا–، فهذه أول دراسة أكاديمية نقدية تناولت هؤلاء الشعراء، عدا دراسة منشورة واحدة لنا تخص شاعراً واحداً منهم بعنوان (ظواهر أسلوبية في شعر محمد بن فضلون العقري).

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في عدم وضوح دور الأدباء الكُرد قديماً في خدمة الادب العربي. وان الكثير من الشعراء الكُرد الذين نظموا الشعر باللغة العربية منسيون، ولم ينالوا حقهم من البحث والدراسة. ولا نعرف شيئاً عن شعرهم وسمات هذا الشعر الموضوعية والفنية.

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية الأَساس / جامعة صلاح الدين .

فرضيات البحث:

يحاول البحث إيجاد أجوبة للأسئلة ادناه:

١- ما هي الإمارة الحميدية؟ وما حال الادب في ظل هذه الإمارة؟

٢- ما دور الشعراء الكُرد في خدمة الادب العربي في هذه الحقبة.

٣- من هم أبرز الشعراء الكُرد في ظل هذه الإمارة؟ وما هي أبرز موضوعاتهم واغراضهم الشعرية؟

الكلمات المفتاحية: الإخوانيات- الإمارة الحميدية- شعر العتاب- شعر الشكوى- المراسلات الشعرية.

المقدمة :

تشكلت عبر التاريخ عدة إمارات كردية شبه مستقلة، ومنها الإمارة الحميدية(٤هـ-٨هـ)، التي ازدهرت من جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية، فقد انتشر فيها العلم والعلماء، وازدهر الادب والشعر، وظهرت كوكبة من الشعراء، ومنهم خمسة عشر شاعراً تناولتهم هذه الدراسة.

إن هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على هؤلاء الشعراء الكرد المنسيين، الذين لم يأخذوا حقهم من الدراسة والبحث والاعتناء، بغية التعريف بهم وبشعرهم، عبر التركيز على أهم ظاهرة عندهم، ليتأكد لنا بأنه كان للأدباء الكرد دور بارز في خدمة الأدب العربي بإبداعاتهم ونتاجاتهم الأدبية، ومما يؤسف عليه ان أغلب هذه النتاجات قد ضاعت، أو لم تجمع وتدرس، ومنها نتاجات الشعراء الذين تتناولهم هذه الدراسة، فقد تم جمع المتفرق من شعرهم في ثنايا الكتب والمصادر، ومن أهمها كتاب (قلائد الجمان) لابن الشعّار الموصلي(٥٩٣هـ-٦٥٤ هـ)، فعثرنا في هذا المصدر على أغلب شعرهم وسيرهم، لذا يبدو أن سبب انحصار مدة العصر الذي عاش فيه الشعراء -قيد الدراسة- بين القرنين السادس والسابع الهجريين هو أنهم من معاصري ابن الشعّار الذي عاش في تلك المدة. ويعني ذلك أنه لا يمكن أن نحصر شعراء الإمارة الحميدية بهذه المجموعة المحدودة من الشعراء، فحتماً ثمة شعراء آخرين لم نطلع على سيرهم وشعرهم قد عاشوا قبل أو بعد القرنين السادس والسابع الهجريين. ويحتاج هذا الامر إلى المزيد من البحث والتقصي من قبل الباحثين لجمع شعرهم ودراسته ان لم يكن قد ضاع. ومن المصادر

الأخرى التي استفدنا منها كتب: معجم البلدان لياقوت الحموي، وأعيان العصر للصفدي، وعقد الجمان للعيني، وذيل مرآة الزمان لليونيني، وعيون التواريخ للكتبي، فضلاً عن دراسات تاريخية حديثة، ومنها كتاب (الكورد الحميدية) للباحثة هيلين باجلوري.

أما خطة البحث فتشمل تمهيداً حول نبذة تاريخية عن الإمارة الحميدية أولاً، ومفهوم الإخوانيات ثانياً. فضلاً عن أربعة مطالب، يتناول المطلب الاول الشوق والحنين، ويدور المطلب الثاني حول التودد والعتاب، في حين يدرس المطلب الثالث المراسلات والمجاوبات، وأخيراً يدرس المطلب الرابع التهنئة والالغا. مع خاتمة حول أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

التمهيد:

١- نبذة تاريخية عن الإمارة الحميدية:

تعد الإمارة الحميدية واحدة من الإمارات التي تشكلت في كوردستان الجنوبية، وقد تمتعت بنوعٍ من الاستقلال والحكم الذاتي. لقد اختلف الدارسون في تحديد تاريخ نشأة هذه الإمارة، فبعض المصادر تشير إلى تأسيسها خلال القرن الرابع الهجري، إذ ((أُنشئت الدولة الحميدية في عام ٣٧٦هـ، على يد نجلي دوستك الحميدي، وهما أبو الفوارس حسين، وباذ أبو شجاع))[١]. ومنهم من يرجح تاريخ نشأة الإمارة إلى القرن الثالث الهجري، فوجدوا بأن ((أول إشارة إلى الكُرد الحميدية في المصادر الإسلامية المتوفرة تعود إلى أواخر القرن الثالث الهجري، بداية القرن العاشر الميلادي، وبالتحديد إلى سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م، ففي هذه السنة انضم رجال قبيلتي الحميدية والداسنية إلى الحركة التي قادها محمد بن بلال الهذباني، زعيم القبيلة الهذبانية، ضد أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان الثعلبي، الذي عيّنه الخليفة المستكفي (٢٨٩-٢٩٥هـ/ ٩٠٢-٩٠٨م) والياً على الموصل وأعمالها))[٢]. ويبدو أن التأريخ غير المحدد لتأسيس هذه الإمارة يرجع إلى عدم ذكر أخبار هذه الإمارة في المصادر التاريخية إلا باقتضاب وفي إشارات محدودة وقليلة، ((فلا

(١) تاريخ أبرشية عقرة والزيبار، عبدالأحد يوحنا نيسان، دار المشرق الثقافية، دهوك، ط١، ٢٠١٠: ٧١.

(٢) صفحات من تاريخ الإمارات الكردية –إمارة عقر الحميدية–، د. زرار صديق توفيق، مجلة متين، العدد ١٠١، حزيران ٢٠٠٠، من إصدارات مؤسسة خاني الثقافية والإعلامية، دهوك.: ١٢٧.

يعلم على وجه التحديد متى وكيف تأسست الإمارة الحميدية، حالها حال أغلب الإمارات والزعامات الكردية الأخرى، لا يوجد أي ذكر أو خبر لأمراء الحميدية على ما نعلم حتى أواخر العصر البويهي سنة (٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)))[١]. إذن ثمة ذكر لأخبار هذه الإمارة في أواخر القرن الثالث الهجري، بيد أن أخبار أمرائها لم ترد إلا في القرن الخامس الهجري.

أمّا تسمية الإمارة فإن الرأي الأرجح للدارسين هو أنها مأخوذة من اسم قبيلة كردية مشهورة وقوية حكمت المنطقة وتوسعت نفوذها حتى تحولت إلى إمارة شبه مستقلة، إذ ((تعد الحميدية إحدى تلك القبائل ذات النفوذ والانتشار الواسع خلال العصور الإسلامية، وما تلتها من أحداث خدمت الإسلام))[٢]. فالحميدية هي إحدى القبائل الكردية الكبيرة التي ظهرت خلال العصر الإسلامي، وقد يكون اسم القبيلة مأخوذاً من اسم أحد أُمرائها، أو من اسم الجد الأعلى للأسرة الحاكمة[٣]. وبسب قوة نفوذ هذه القبيلة، وسعة انتشارها في المنطقة تحولت إلى إمارة.

من المناطق الرئيسة التي ظهرت فيها الإمارة الحميدية هي تلك المنطقة التي تقع بين الزاب الكبير والخازر، والتي كانت تسمى بـ (المرج) أو الروضة، ((فهي منطقة تشبه مثلثاً كبيراً يتوجه رأسه نحو الجنوب، ويحدّها من الشرق نهر الزاب الكبير، الذي يفصلها عن منطقة حدياب، ومن الغرب نهرا الخازر والكومل، أمّا الشمال فيتكون من سلسلة جبال عقرة))[٤].

أمّا أهم مدن وقلاع الإمارة، والتي تقع ضمن منطقة (مرج) المذكورة فهي مدينة عقرة وقلعتها المشهورة، وقلعتا الشوش وشرمن، وقرية العمرانية، وقرية خلبتا (خيلا فتي

(١) القبائل والزعامات القبلية الكردية في العصر الوسيط ، زرار صديق توفيق، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، ط١، ٢٠٠٧: ٨٥.

(٢) الكورد الحميدية ودورهم السياسي والحضاري خلال القرون ٣-٨هـ/٩-١٤م، هلبين رفيق محمد سعيد سعيد باجلوري، من مطبوعات الأكاديمية الكوردية، أربيل، ط١، ٢٠١٢: ١٠.

(٣) ينظر: مصدر سابق: ٨٣.

(٤) مصدر سابق: ٧.

حالياً)، وكهف كوندك، وكركوران، وكلاتا (كلاتي حالياً) بمعنى (القلعة الصغيرة)، وكفرة سور[١].

لقد تميزت الإمارة الحميدية بالازدهار العلمي والفكري والثقافي، على الرغم من حدة الاضطرابات السياسية، وتقلب أوضاعها، وتعرضها للعديد من الأطماع والحملات، فهذا الاضطراب السياسي ((لم يمنع قيام بعض الحكام والأمراء باتخاذ الإجراءات اللازمة في سبيل توطيد حكمه وسلطته وبكافة السبل، ومنها الاهتمام بالعلم والعلماء، وتشجيع المسيرة العلمية، والمساهمة من خلال بناء المراكز التعليمية من المساجد والمدارس والربط والزوايا، والمشاركة في المناظرات الثقافية، وحضور المجالس الفقهية وحلقات الدرس))[٢]. كما ظهر في الإمارة كثيرٌ من الأدباء والكتاب، ولعل من أشهرهم العالم والشاعر (محمد بن فضلون العقري ٥٨٦-٦٢٤هـ)، والشاعر (عبدالمحسن بن أحمد العقري ٥٩٦-؟ هـ)، والشاعر (عبدالباقي بن نصر بن هبة الله ٥٧٨-٦٣٧هـ)[٣]. وغيرهم من الشعراء الذين خصصنا هذه الدراسة لهم ولشعرهم.

وأخيراً فإن المعطيات التاريخية تشير إلى أن الإمارة الحميدية الكردية قد سقطت واضمحلت في عهد حفيد الأمير (مبارز الدين كك) حوالي القرن الثامن الهجري / القرن الرابع عشر الميلادي[٤].

إذن تعد الإمارة الحميدية من الإمارات الكردية المزدهرة، والتي ظهرت في المنطقة الواقعة بين نهري خازر والزاب الكبير، واستمر حكمها طيلة خمسة قرون، من القرن الثالث إلى القرن الثامن الهجري، وقد ازدهرت الحركة الثقافية والعلمية فيها، فأنجبت العديد من العلماء والأدباء والكتاب، الذين رفدوا المكتبة العربية الإسلامية بكثيرٍ من النتاجات الأدبية والعلمية.

---

(١) ينظر: مصدر سابق: ١٨-٣١.

(٢) الحياة الفكرية في كردستان ٥٧٥-٦٥٦هـ/١١٧٩-١٢٥٨م، د. مصطفى أحمد محمد النجار، دار سبيريز/ دهوك، ط١، ٢٠١٧: ٧١- ٧٢.

(٣) ينظر : مصدر سابق: ١٤٢-١٤٩.

(٤) ينظر: مصدر سابق: ٩١.

٢- **مفهوم الإخوانيات:**

تعدُّ الإخوانيات نمطاً شعرياً ازدهر في العصر العباسي، وتدور حول العلاقات الاجتماعية المتمثلة بالصداقة وعلاقات الأقارب والأخوة بين أفراد المجتمع، فهذا المصطلح مأخوذ من الأخوة التي تجمع بين آصرة الانتساب والقرب، وآصرة المحبة والألفة، والتماثل في الطباع، فتدور الإخوانيات حول عدة مجالات مثل العتاب، والاعتذار، والشكوى، والتهنئة، والفكاهة، والألغاز[١]. إذن يمكن القول بأن الإخوانيات نوع من الشعر الاجتماعي، إذ تصور ((الصلات والروابط التي تربط بين الأصدقاء من الشعراء، ويتحدث هذا الشعر بين سطوره عن الصداقة والأخوة والمودة))[٢].

إن هذا اللون من الشعر انعكاس للعلاقات الاجتماعية الوطيدة، وللاستقرار الاجتماعي والحضاري الذي شهده المجتمع في العصر العباسي، فالإخوانيات ((تتصل بحياة الناس أوثق اتصال، فهي تنبثق من العلاقات الاجتماعية، وتنهض بتصويرها وتدور حولها، وقد جاء الكثير منها ثمرة لظاهرة الصداقة التي اتسع مجالها في هذا العصر على نحو لم يسبق له مثيل، في ظل المجتمع المدني والحضري الذي تفيأ الشعراء العباسيون ظلاله وعاشوا في كنفه، خلال حُقبه الطويلة))[٣]. إن الإخوانيات ظاهرة شعرية ترتبط بالاستقرار الثقافي والحضاري، فهي ظاهرة حضارية ثقافية، أسهم فيها الشعراء من ذوي الثقافة والمعرفة، حيث ترتبط بالنشاط الثقافي، والاستقرار الاجتماعي، لأنها مطارحات تتسم بالود والألفة، والتي تجري بين الأصدقاء من الأدباء المثقفين[٤].

لقد ازدهرت الإخوانيات عند شعراء الإمارة الحميدية، فقد تأثر هؤلاء الشعراء ببيئتهم الأدبية والثقافية، وبالأغراض الشعرية السائدة في تلك الحقبة ومنها الإخوانيات، فهي من أكثر الأغراض الشعرية التي نظم فيها شعراء الإمارة الحميدية، حتى يمكن عدها

---

(١) ينظر: الإخوانيات في الشعر العباسي، د. محمد عثمان الملا، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، السعودية، ط١، ١٤١٢هـ : ٥.

(٢) الإخوانيات في الشعر الأندلسي، د. علي الغريب محمد الشناوي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦: ١.

(٣) مصدر سابق: ٥.

(٤) ينظر: مصدر سابق: ١-٢.

ظاهرة بارزة طغت على قصائدهم وموضوعاتهم الشعرية. ولعل السبب في انتشار هذا النمط الشعري عند شعراء الإمارة الحميدية فضلاً عن التأثر بالسائد من الشعر آنذاك هو حاجة الشعراء إلى توطيد العلاقات الاجتماعية مع الأقارب والأصدقاء، وحاجتهم إلى التودد لغرض كسب ود الأمراء والحكام وعطفهم، إمّا للتكسب المادي، أو لتجنب أذى الحكام لهم ولتجنب معاداتهم، لأنهم كانوا من الطبقة الثقافية التي لا تملك القوة أو السلطة سوى قوة اللسان والقلم، فحاولوا بشعرهم الإخواني كسب ميل الحكام والأمراء لهم. والجانب الإيجابي في هذا الأمر هو قدرة هؤلاء الشعراء على توطيد العلاقات الاجتماعية والشخصية مع السلطة من جهة ، والأصدقاء والأقارب من جهة أخرى، ويدل ذلك على ذوقهم الحضاري ومستواهم الثقافي، فيعكس هذا النمط من الشعر الأسلوب الحضاري الراقي للشعراء، والمتميز باللين والموحي بامتلاك مهارة الاتصال بالآخر، واتقان فن التواصل.

ومن أهم الأغراض التي اشتملت عليها إخوانيات شعراء الإمارة الحميدية الشوق والحنين، والتودد والعتاب، والمراسلات والمجاوبات، فضلاً عن التهنئة والألغاز.

أولا: الشوق والحنين:

لقد جُبِل الإنسان على الشوق والحنين إلى وطنه وأهله وماضيه، فيحن المرء إلى محبيه وأصدقائه، ويشعر بالشوق إليهم، لاسيّما عند الشعور بالغربة أو النأي عنهم. والحنين يدل على النضج العاطفي والنزعة الإنسانية الصادقة. فيقول الجاحظ في هذا الشأن: ((من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تواقة، وقالت الهند: حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك –لأن غذاءك منهما وأنت جنين–، وغذاءهما منه))[١].

لقد عكس الشعر العربي عاطفة الشوق والحنين منذ العصر الجاهلي، وما ظاهرة الاطلال والحنين إليها في الشعر العربي القديم إلا دليل على تشبث الشعراء منذ القدم بالشوق والحنين، لأن الحنين إنسانية عامة، لا يمكن التخلي عنها، فإذا كان الشقاء

(١) الحنين إلى الأوطان، لأبي عثمان بن بحر الجاحظ، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢: ٨.

والضياع والألم من مفردات الغربة، فإن الحنين يعني السرور والفرح، فهو يجسد لحظة أمل يعيشها الشاعر(١).

إن الحنين والشوق من أهم موضوعات الشعر الإخواني، فمما ((يلحق بشعر الصداقة، شعر يتحدث فيه الشعراء عن الحنين إلى بعضهم، ومبعث هذا الحنين يتمثل في ظروف الاغتراب عند الأهل والوطن، فيترتب عن ذلك الإحساس بفقد الأصحاب، مما يدفع الشعراء إلى التراسل بالشعر تعبيراً عن هذه المعاني))(٢).

لقد اشتملت قصائد شعراء الإمارة الحميدية على كثيرٍ من شعر الشوق والحنين، فقد عبّر هؤلاء الشعراء عن لوعتهم وحنينهم بسبب الغربة والابتعاد عن مواطنهم وأهلهم، فمن القصائد التي تعكس تلك المعاني قصيدة الشاعر (أحمد بن عبدالله العقري المتوفى سنة ٦٢٢هـ)، يقول فيها مفصحاً عن شوقه إلى أهل مدينته (عقرة) ومكان نشأته (الموصل): (من الكامل)

يا ساكني أهلَ الجِبال ومَن ... في الكَهفِ والحَدباء والعَقرِ
ما كنتُ أعرفُ قدر وَصلِكم ... حتى بُليت بفارط الهجرِ
لو تعلمون تَألمي بكم ... يَومَ الفراقِ لساءَكم أمري
قد كان لي صبرٌ أعيشُ به ... قِدْماً فوا أسفا على صبري
مِن طيب أيّام الوصال وما ... قضَّيته في سالفِ الدَّهرِ
وسَقَتْ ليالينا بخَيفِ مِنىً ... فالمأزَمَين سواكبُ القَطرِ(٣)

إنَّ القصيدة تفيض بعاطفة الشوق وحنين الشاعر إلى أهله وأصدقائه، ولعل ابتداءها بحرف نداء البعيد (يا) دليل على شدة شوقه وألم لوعته، فنادى أهله وأصدقاءه بكل حسرة وأسى، إنه حنين إلى مكان الطفولة والأصل، حيث الكهوف والجبال، وهي ما تتميز به مدينة (عقرة). وأشار الشاعر إلى (الحدباء) نسبة إلى الموصل الحدباء، وموطن

(١) ينظر: تجربة الغربة والحنين في شعر ابن خفاجة الأندلسي، فتيحة دخموش، رسالة ماجستير، بإشراف: أ. د. الربعي بن سلامة، جامعة منتوري، الجزائر، ٢٠٠٤-٢٠٠٥: ١٥-١٧.

(٢) مصدر سابق: ١٣٧.

(٣) قلائد الجمان في فرائد شعراء شعر هذا الزمان، لابن الشعّار الموصلي، تحقيق: كمال سلمان الجبوري، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥: ١/ ١٧٣، ١٧٤.

نشأته. ويبدو من سيرة الشاعر أن هذا الفراق قد حصل بفعل سفره إلى بغداد، حيث كان مدرساً في مدرستها (الفخرية)[١]. لقد بُلي الشاعر –كما ورد في القصيدة– بشدة الهجر، فلم يتسنَ له أن يعرف قدر القرب منهم حتى ابتلي بالفراق. ويأسف الشاعر في هذه الأبيات على (الصبر) ، الذي لم يعد يعينه لشدة ألم الفراق، كناية عن نفاذ صبره. ويحاول الشاعر أن يخفف من شدة ألم الحنين واللوعة إلى أهله وبيت طفولته بالالتفات إلى الماضي في البيتين الأخيرين، وبما فيه من ذكريات جميلة في أيام الوصال والتلاقي قبل الفراق، ويضيف الشاعر القدسية والخير على هذه الأيام الجميلة بالإشارة إلى الليالي الماضية في موضع مقدس ومبارك عند (خيف منى)، وهو موضع أو مسجد بمكة في منى، إذ كانت لياليها تفيض بالقطر (المطر) الدال على الخير والحياة. وهكذا تظهر في هذه القصيدة العاطفة الجياشة التي تعكس ألم النوى والغربة عن الأهل والأصدقاء، والشوق إلى الماضي وبيت الطفولة.

ويبدو أن الظروف الاجتماعية والعلمية والإدارية والاقتصادية قد دفعت بشعراء الإمارة الحميدية أن يتنقلوا من مدينة إلى أخرى، تاركين مكان طفولتهم وصباهم، مما هيّج شوقهم وحنينهم إلى هذه الأماكن، فهذا شاعر آخر من شعراء الإمارة الحميدية يترك مدينة طفولته (صفد) متحولاً إلى دمشق، وهو الشاعر الأمير (حسام الدين الحميدي ،ت ٧١٠هـ)، فقد أصبح حاجباً بدمشق مما اضطر إلى ترك مكان صباه (صفد)، فحنّ إليه وإلى أهله وأحبائه ،بقصيدة يقول فيها: (من الكامل)

يا صاحبي إن شئت توليني مِنن ... عرِّج على صَفَدٍ فلي فيها شجن
وبها أحبّائي وأهلي والوطن ... وهم أعزَّ عليَّ من روحي وَمَنْ
أهواهُمُ في السِّر والإعلان ... كم ليلةٍ قد بِتّ في ساحاتها
أجني ثمار اللهوِ مِن وجناتها ... وأجرّ ذيلَ صبايَ في عَرَصاتها
هل راجعٌ ما فاتَ من لذّاتها ... أترى يَعودُ لنا زمانٌ ثان[٢]

(١) ينظر: سيرة الشاعر: مصدر سابق: ١٧٣/١.

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر، للصفدّي، علق عليه: عمرو محمد عبدالحميد، المجلد الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت: ٢٤٩/٢.

إنّ عاطفة الحنين –كما يبدو– هي الطاغية على هذه القصيدة. ونلمس مناداة الشاعر– على عادة الشعراء القدامى– لِصاحبه، طالباً منه بأن يعود ويلتفت إلى موطن صباه (صفد)، فله لوعة وشجن بسبب الابتعاد عنها، لأنها موطن الأحبة والأهل الأعزاء. وتبرز شدة الشوق والحنين للشاعر من خلال تشبثه بأسماء الأماكن: (ساحاتها – وَجَناتها – عرصاتها)، فتذكُّر تفاصيل الأماكن في زمن الصبا واللهو دليل على شدة الحنين واللوعة. كما أن توظيف الشاعر لـ (كم) الخبرية: (كم ليلةٍ) يُوحي بكثرة هذه الليالي والتي يحن إليها شاعرنا. ويضفي الشاعر جمالية على ذكرياته السالفة من خلال تركيب صورتين شعريتين في البيت قبل الأخير فجعل للهو صباه ثماراً كان يجنيه، دلالة على الخير والخصب والعطاء، كما رسم لصباه صورة المرح والحرية والانطلاق حينما رسم له ذيلاً يجره في عرصاتها الواسعة والفسيحة. ويختم الشاعر هذه المقطوعة الشعرية بأسلوب الاستفهام الذي تكرر مرتين (هل راجع) / (أترى يعود) تعبيراً عن الحسرة والقلق المشوب بالتمني والاستحالة تجاه ماضٍ جميل لن يعود.

ومن الشعراء الآخرين في الإمارة الحميدية الذين نظموا في الشوق والحنين (عبدالباقي بن نصر العمراني ،ت ٦٣٧هـ)، وأصله من قرية العمرانية بالقرب من قلعة شوش في عقرة، بيد أنه ولد في الموصل، ثم رحل إلى حلب وتوفي فيها[١]. إذ يقول في إحدى قصائده وهو في حلب مُعبراً عن شوقه إلى خاله: (من الطويل)

ولمّا وقفنا للوداع وأحدقتْ بنا أعينٌ للشامتين نواظرُ
رحلنا فغرَّبنا وراحوا فشرَّقوا وفاضت لِلوعات الفراقِ المحاجرُ
وسِرنا وفي طَرس النفوس ودائعٌ كوامنُ لم تظهر عليها الضَّمائرُ
سرائرٌ تبلى وهي تبقى مَصونة إلى يومِ حَشرٍ فيه تُبلى السرائر
ولم نقضِ من أهل الوفاء شجوننا ولم تُنجنا الأيامُ مما نحاذرُ[٢]

تظهر في هذه الأبيات الألفاظ الزاخرة بالألم والحزن بسبب الفراق والشوق، إذ أثّر فعل (الوداع) على نفس الشاعر، ومما زاد من الألم فعل آخر عزّز الأسى والحسرة ألا

(١) ينظر: مصدر سابق: ٤/ ١٤٤.
(٢) مصدر سابق: ٤/ ١٤٩.

وهو (تحديق أعين الشامتين) من الأعداء، فضعف الألم بوجود الذين فرحوا لحزنهم. وتظهر شدة الحزن والألم بتحديد الموقف والزمن بـ (لمّا) الحينية، وهو موقف وزمن صعب لاقترانهما بالوداع والفراق. ويصور الشاعر شدة الفراق والنوى عبر التضاد: (فغرّبنا)، (فشرَّقوا)، فكانت ردة فعل هذا التضاد والتنافر الدموع التي فاضت من المحاجر، وتتجلى صعوبة الحالة النفسية للشاعر عبر تلميحه إلى مضمرات في النفس (وفي طرس النفوس ودائع)، وإن دفن الأحزان وكتمانها يعد اختباراً إيمانياً لما يبتلى به المرء، لقياس مدى رباطة جأشه أمام الأهوال وآلام الفراق والبعد، والاختيار الأسلوبي لمفردة (طرس) الدالة على إعادة الكتابة في الصحيفة وعلى السواد، تلميح للتراكمات النفسية والمضمرات في نفس الشاعر ليظهر لنا حجم الكبت النفسي، فيستغيث الشاعر بالقوة الروحية (الدينية والإيمانية)، لتبقى هذه السرائر مصونة إلى (يوم الحشر)، وما التناص القرآني: (تُبلى السرائر) إلا ترسيخ وتوكيد لهذه النزعة الإيمانية القوية. إذ يتشبث المرء المؤمن بهذا العامل الروحي ليتماسك ويصبر.

ولم يقتصر شعر الحنين والشوق عند شعراء الإمارة الحميدية على الحنين إلى الماضي أو الأصحاب والأحباب أو الديار المهجورة، بل التفت هؤلاء الشعراء إلى الرؤساء والأمراء، معبرين عن حنينهم وشوقهم إليهم، بسبب البعد والفراق، ومن هؤلاء الشعراء الذين تطرقوا إلى هذا الجانب الشاعر (محمد بن علي العمراني) المكنى بـ أبي حامد ، ت ٦٢٢هـ)، فمن جميل شعره الذي أفصح فيه عن شوقه إلى أحد الرؤساء قوله: (من الطويل)

سلامٌ كأنفاس الخزامى وقد هَما ... عليهِ سُحيراً دائماً سبلُ القطْرِ

تَهُبّ به رِيحُ الشّمالِ مُعَطّراً ... وتُهديه من صَبٍّ نَحيلِ أخي فِكرِ

أدامَ له الله الكريمُ بفضله ... سعادات جَدٍّ لا تَزالُ مدى الدَّهرِ

ألا أيُّها المولى الّذي جادَ باللّهى ... وإحسانه عمَّ البريَّة بالوَفرِ

ومن سابقت آلاؤهُ وتتابعت ... إليَّ أياديهِ ونُعماهُ كالقَطْرِ

أبُثّكَ أشواقي وفَرطَ صبابتي ... تُقلّبُ أحشائي على مُسعَر الجَمرِ[1]

(١) مصدر سابق: ٦/٣٣٩-٣٤٠.

فيهدي الشاعر أطيب السلام وأجمله إلى المرسل إليه (الأمير)، وهو سلامٌ مشوبٌ برائحة نبات (الخزامى) الطيبة والزكية، ليستهل قصيدته ببداية رقيقة ومجاملة تنسجم مع علو مقام المخاطب، محاولاً كسب ودّه وعطفه من البداية. ويبعث الشاعر هذا السلام المعطر من خلال ريحٍ معطرة أيضاً، وبعد هذا الاستهلال المفعم بالتودد والاستعطاف، يفصح شاعرنا عن سعة كرم المرسل إليه، وغزارة نعمه، فإحسانه شامل (عمَّ البرية)، و (آلاؤهُ) متتابعة ومتدفقة لا تنقطع، وهي نِعم وعطايا كريمة وغزيرة ومجلبة للخير والحياة ،مثل خير وعطاء المطر (القَطْرِ). وبعد هذا التصوير لكرم المرسل إليه ونعمه وعطاياه يبثُّ الشاعر أشواقه ولوعته إليه، مصوراً الأحشاء وهي تشوى وتحترق على (مُسعر الجمر)، لشدة هذا الشوق. ونلمس من هذه الأبيات اللغة العاطفية والرقيقة المشوبة بالأسلوب الحكيم، الذي حاول الشاعر من خلاله كسب ودّ المخاطَب (الأمير)، ليتأكد لنا بأن شعراء الإمارة الحميدية حاولوا من خلال شعرهم –لاسيَما الموجه إلى الرؤساء والحكام– أن يكسبوا عطفهم، ليتقرّبوا من هؤلاء الحكام تحقيقاً لأغراضهم المادية والمعنوية، المتمثلة بالتقرب من الحكام والحصول على دعمهم ومساندتهم، في عصر كان الخلفاء والملوك يحاولون دعم الحركة الثقافية ،وجمع المثقفين والأدباء حولهم، من خلال تكريمهم بالمال والعطايا، إذ ((تتنافس الخلفاء والملوك في نشر العلم، وبناء دوره، وتشجيع أصحابه، واقتناء كتبه، وتأسيس خزائنه، وفتح مدارسه ومعاهده، وكان الخلفاء والملوك والأمراء يرعون هذه الحركة بأنفسهم، ويشيدون المعاهد برعايتهم، ويقتنون الكتب لخزائنهم والخزائن العامة، ويجزلون العطاء للكتاب والمؤلفين، والخطاطين والنسّاخين، ويرعون طلاب العلم بالانفاق عليهم))[1].

لذا لا نستغرب عندما نجد شعراء الإمارة وهم يعبِّرون عن شوقهم إلى حكامهم، في ظل تلك الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي شجعت هؤلاء الشعراء، ليوجهوا بشعرهم إلى السلاطين والأمراء، من أجل التقرب منهم والظفر بتأييدهم. واستناداً إلى ما سبق من

(١) مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، د. بكري شيخ أمين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٠: ٥٧.

الأسباب والظروف نلحظ مبالغة الشاعر (محمد بن علي العمراني) وإفراطه في تصوير فضل المخاطَب وتعداد كرمه، متمنياً ما لا يمكن تحقيقه فيقول في القصيدة نفسها:

فلو كانت الأرضُ الفسيحة صَفحة لسَطري عَلَيها والمِدادُ من البحر

وأوغلتُ إفصاحاً وأطنبتُ شارحاً وأسهبتُ بالإفراطِ لم آتِ بالعُشرِ

فيا ليتَ أنّي كُنتُ بين سطورهِ لأحظى برَؤيا وَجهِهِ المُشرِقِ البدرِ

ولولا عَوادٍ أشغلتني عن السُرى لَجِئْتُ إليه ساعياً عِوَضَ السطرِ(١)

وتظهر مقدرة الشاعر الأسلوبية والإقناعية، ومدى تناسب أسلوبه الحكيم والمقنع مع مقام القصيدة وسياقها، (مخاطبة شخص مهم)، عبراختتام قصيدته بالسبب والمبرر المقنع للمخاطَب، لعدم مجيئه وحضوره بنفسه، ولتصبح الرسالة (السطر) عِوضاً عن هذا اللقاء. فمصائب الحياة وعوادي الدهر كانت من عوائق هذا التلاقي. وتجدر الإشارة إلى أن هذه القصيدة للشاعر (محمد بن علي العمراني) تعكس لنا الفكر المتقد والأسلوب الحضاري الرقيق ، فهذا النوع من الخطاب الشعري المفعم باللين والرقة، وذكر فضائل المخاطب، ودعم الكلام بالأدلة والبراهين يدل على مقدرة الشاعر وبراعته في توظيف نص شعري يراعى فيه ظروف المستقبِل ومقامه ،وسياق إلقاء النص. لتصبح القصيدة أكثر تأثيراً في المتلقي (المرسل إليه)، لا سيّما أن هذا المتلقي له مكانة مؤثرة ومتميزة كونه حاكماً ورئيساً.

وخلاصة لما سبق يمكن القول بأن شعراء الإمارة الحميدية قد نظموا شعراً وفيراً في الشوق والحنين، إفصاحاً عن لوعتهم واشتياقهم لأماكن صباهم ولماضيهم ولأحبائهم، فكانت العاطفة الجياشة الصادقة هي الطاغية على هذه الأشعار. أو تعبيراً عن شوقهم لأمرائهم وحكامهم ليثبتوا براعتهم في كسب ود هؤلاء الأمراء والحكام.

ثانياً: العتاب والتودد:

يعد العتاب نمطاً من أنماط الشعر الإخواني، حينما يخاطب الشاعر الآخر ويراسله معاتباً إيّاه، طالباً ودّه وعطفه. والعتاب بمعنى اللوم، ويلجأ الشاعر إليه بسبل

(١) مصدر سابق: ٦/ ٣٤٠.

عدة، وطرائق مختلفة، فقد يمزجه بطلب العطف والمودة، أو يدخله بالاحتجاج واللوم وطلب الانصاف(١).

لقد أزدهر هذا النمط الشعري في العصر العباسي، بسبب التطورات التي حدثت في ذلك العصر، وحاجة المجتمع إلى الاحتكاك والتخالط ، لتنظيم علاقاتهم. وثمة أسباب عدة تدفع بالشاعر إلى العتاب، ولعل من أهمها الفراق والبين والهجر، أو الانتقاد، أو قلة المراسلة والتواصل، ومن جملة الأسباب المهمة التي دعت إلى نظم العتاب عند الشعراء إهمال التراضي، أو دفع الهدايا والعطايا من قبل الأمراء والحكّام. وجديرٌ بالذكر أن العتاب هو نتاج الشعور بالغضب ،أو عدم الرضا من الآخر، وهو غضب مشوب بالدلال(٢).

لقد تضمن العتاب والتودد شعر الإمارة الحميدية، فنجد أن الكثيرين منهم قد التفتوا في شعرهم إلى هذا النوع من الشعر، معاتبين أصدقاءهم أو الأمراء والحكام، فحاولوا مراسلة الآخرين شعراً ليعبروا عن عدم رضاهم أو لومهم من الشخص المرسل إليه، وذلك بأسلوب مجامل ورقيق ، ينم عن تفتحهم الفكري وذوقهم الحضاري، الداعي إلى تقوية علاقات الود والمحبة مع الآخرين، ومعاتبتهم في إطار أسلوب رقيق، يعكس تمدنهم وتحضرهم، بغية الحفاظ على تلك العلاقات الاجتماعية والمصالح ،لا سيّما مع ذوي النفوذ والسلطة والجاه، حفاظاً على وضعهم الاجتماعي والمعيشي، وضماناً لنيل دعم الأقوياء من ذوي السلطة ومساندتهم. فمن شعراء الإمارة الحميدية الذين نظموا في هذا النمط الشعري الشاعر (محمد بن فضلون العقري، ت ٦٢٤هـ)، فمما كتبه إلى بعض الرؤساء عتاباً: (من الطويل)

أليسَ عَجيباً أنّني لك شاكرٌ ... محبٌ وأمسي موغر الصدرِ باكياً
وكانت ظنوني في عُلاك جَميلة ... فغادرتها والله يعلم ماهيا
أتعمر جسراً باطَراحِكَ جانبي ... وتهدم بي قصراً من الذكرِ عالياً
وترقدُ عنّي ملءَ جفنيكَ مُلغياً ... حُقوقي وقد نبَّهتُ فيك القوافيا

(١) ينظر: مصدر سابق: ٤٢.
(٢) ينظر: مصدر سابق: ٩.

وجدتُ لساني عن كلامٍ يَسُوُكُم كليلاً وإن كانَ الحُسامَ اليمانيا
وجاءَ أذاكم مَرَّةً بعد مرَّةٍ فصادف منّي صابراً مُتغاضيا
فلا تُحْوجُوْني أقتفي غيرَ مذهبي وأنوي لكم غير الذي كنتُ ناويا
وما ضرَّكُمْ أن تستديموا مودَّتي عليكم وأن تشروا بمالٍ ثنائيا[1]

لقد وظَّف الشاعر في هذه القصيدة أسلوب الاستفهام التعجبي (أليس عجيباً – أتعمرُ جسراً) للإفصاح عن دهشته وتعجبه من موقف المرسل إليه السلبي، كونه أهمل الشاعر، ولم يمنحه حقوقه (ملغياً حقوقي)، مقابل موقف المرسِل (الشاعر) الإيجابي تجاه المرسل إليه، (وهو أحد الرؤساء أو الحكام). ومن أجل إبراز هذا التضاد في موقف الطرفين ،فقد استخدم الشاعر التضاد الأسلوبي في قصيدته: (أتعمرُ × وتهدم / ترقد عني × نبهت فيك / جاء أذاكم × فصادف مني صابراً / أنوي × غير الذي كنت ناوياً). كما نلحظ بأن الأسلوب الحكيم قد طغى على القصيدة، ويدل ذلك على براعة الشاعر في اقتناء الأسلوب الملائم للموقف، إذ يخاطب السلطة والقوة وذا الجاه والمال، مما يستدعي أن يكون لبقاً في أسلوبه، حكيماً في عتابه ولومه، ليحصل على ودّ المخاطَب ويتجنب أذاه، فمثلاً بدلاً من أن يقول إن كلامي وشعري قويٌ ومؤثرٌ ومؤذي كالسيف (الحسام اليماني)، أشار إلى أن لسانه ضعيف (كليل) لإيذائه، وإن كان مؤذياً (كالحسام). كما يظهر هذا الأسلوب اللبق في نهاية القصيدة حينما عرض الشاعر على المخاطَب مودّته مقابل ثنائِه له، فما الضرر بأن يُعطى للشاعر العطايا والمال مقابل المدح والثناء. مما يؤكد لنا بأن شعراء ذلك العصر كانوا يعتمدون على الرؤساء والحكام في معيشتهم ،وإن الحكام كانوا يقرّبون العلماء والشعراء إليهم ،بتكريمهم بالمال والعطايا.

إن الحالة الاجتماعية السائدة في تلك الحقبة المتمثلة بتقسيم الناس الى طبقة حاكمة وأخرى فقيرة، قد جعلت من الأدب سبيلاً لكسب ودّ الحكام وعطاياهم، إذ ((كان الأدب وسيلة من وسائل الرزق، وكانت موضوعات التملق تغلب على المواطنين من الشعراء، وكان الأمير أو السلطان أو القائد أو الرجل العظيم يأوي جماعة من هؤلاء،

(١) مصدر سابق: ٧/ ١١٧.

سواء عن طريق الدولة بتعيينهم في وظائف متعلقة بديوان الرسائل، أو الدواوين الأخرى، أو عن طريق شخصي، كأن يكفل لهم الرزق عن طريق راتب معلوم))[١].

ويبدو أن الشاعر (محمد بن فضلون العقري) قد شغف بهذا الفن الشعري المتمثل بالعتاب والتودد للحكام والأمراء، إذ يقول في المعنى نفسه: (من الطويل)

إذا زِدْتُ شُكراً زدتموني أذيَّة فبتَّ ولي قلبٌ يقلَبُ في العتْبِ

وما زلّتي فيما أرى غير حُبِّكُمُ فهل عندكم أن تغفروا زلّة الحُبِّ[٢]

ويظهر في البيتين أعلاه بأن شاعرنا ينتهج نفس أسلوب القصيدة السابقة ، في الإفصاح عن لومه من أذية المخاطب، على الرغم من شكر الشاعر وثنائه له، وذلك بأسلوب لبق ولين يوحي بالذوق الرفيع والحضاري للشاعر، مستعملاً المدح بما يشبه الذم (وما زلتي .... غير حبكم)، طالباً العفو والمغفرة، فجاء الخطاب الشعري طلباً للود والإفصاح والتقرب.

ومن الأمثلة والشواهد الأخرى على شعر العتاب والتودد عند شعراء الإمارة، قصيدة الشاعر (أحمد بن بوزان بن سنقر الشوشي، ولد سنة ٥٩٦هـ)، إذ يقول فيها معاتباً ومتوداً: (من البسيط):

سَلاهُ هل عَدَّ قتلي بالصدود رضا أم ساخطاً كان في أمرٍ عليَّ قضى

كلّفتُ قلبي لديه الصَّبر مُعترفاً .... كلّما عاينْتُه انتقضا

إنّي لأعجبُ من طَرْفِ التجلد في هَواهُ يُعثرُهُ وَجدِي إذا ركضا

وعارضٌ مِنْ جفوني كُلّما نَظَرَتْ عيناي بارقَ ثَغْرٍ منه معترضا

أما وليلٍ كحظيِّ من ذوائبه على صباحٍ كَفَرقٍ في الجبين اضَا

لا كُنتُ ممَّن يُرى في الحُبِّ مبتذلاً عنه ولو جارَ أو أبغي له عِوَضا[٣]

يلحظ في هذه الأبيات محاولة الشاعر كسب ود المخاطب ورضاه، عبر عتاب غير مباشر وغير مصرَّح به، فبمجرد الإشارة إلى الصد والهجران (بالصدّود) القائل للشاعر،

(١) الأدب في العصر الأيوبي، د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف المصرية، د.ط، ١٩٩٠: ٥٥.

(٢) مصدر سابق: ٧/ ١١٧.

(٣) مصدر سابق: ٣٢٦/١.

نستشف لومه وعتابه للمخاطب ،واستفساره عن سبب هذا الهجر، هل برضى أم بعدم رضا؟، ومما أسهم في إضفاء لغة الود واللين على الأبيات توظيف الشاعر –وعلى نحو مكثف– للألفاظ الدالة على المودة والحب تجاه الآخر: (هواه – وَجدي – الحب)، محاولةً لإصلاح ما خسر من العلاقة والترابط، لتغيير حالة هذه العلاقة من الصد والهجران إلى الود والتواصل، لنستنتج من أن هدف هذه الرسالة الإخوانية الشعرية هو التقارب بعد التنافر، والمودة بعد العداء، تحقيقاً لمآرب الشاعر (المرسِل) الاجتماعية والمعيشية.

وهكذا تداخل العتاب مع التودد من قبل شعراء الإمارة الحميدية من أجل كسب رضا الحكام والأمراء، ونجد منهم من يكتفي بالتودد والملاطفة مع المخاطَب، بغية الحفاظ على علاقات إيجابية، أو إصلاح التنافر والابتعاد، هذا التنافر الذي يحصل عادة من قبل الآخر، مقابل دهشة وذهول الشاعر. فمن رقيق شعر التودد والملاطفة، ما كتبه الشاعر الحميدي (عبدالمحسن بن أحمد بن عبدالله العقري، المولود سنة ٥٩٦هـ)، إلى الأمير أمين الدين (لؤلؤ بن عبدالله) صاحب الموصل، المتوفى سنة ٦٥٧هـ، حيث أنشد الشاعر رسالة إخوانية إلى الأمير قائلاً: (من الوافر):

أمنتُ بوائق الزمن الخؤون ونِلتُ مُنايَ بالمولى الأمين
وهل أخشى وقد عَلقتْ يَميني بحبلٍ من موَدَّته متينِ
فتى حازَ الفضائِلَ والمعالي بجُودٍ سابغٍ وتُقى ودينِ(١)

لقد خاطب الشاعر الأميرَ الكبير برسالة شعرية مفعمة بالرق والتودد واللّين، محاولاً مداومة رضا الأمير وودّه، وينكر الشاعر بالاستفهام : (وهل أخشى؟) الخوف من خسران مودة الأمير، لأنه تشبث بحبل مودته ،ومن أجل تأمين هذه العلاقة الودّية الطيبة مع المرسل إليه (الأمير) ،فقد وجّه الشاعر سيلاً من المدائح والفضائل التي ألصقها بالمخاطب، بغية استمرار الود والتقارب بينهما، إذ وصف الأمير بأنه كسب كل الفضائل السامية من كرم وتقوى وإصلاح وتدين. وينهي الشاعر قصيدته بالتفاته إلى حرصه على التواصل مع الأمير في مناسبات الفرح والأعياد ومنها تهنئته في عيد (نوروز):

أمينَ الدِّينِ لا زلنا نُهنِّي بك النَّيروزَ حيناً بعد حِيْنِ(١)

(١) مصدر سابق : ١٠٥/٤.

وأخيراً فإن قصائد العتاب والتودد قد خصصها شعراء الإمارة للأمراء والحكام، دون غيرهم من فئات المجتمع، إذ وظّفوا هذا النمط من الشعر الرسائلي للحفاظ على علاقات قوية ومتينة مع ذوي السلطة والجاه، ضماناً لحقوقهم واستحقاقاتهم المادية والمعنوية.

ثالثاً: المراسلات والمجاوبات:

هي لون آخر من ألون الشعر الإخواني، تدور حول المراسلة شعراً، حينما يتبادل الشاعر مع صديق أو شخصية في السلطة الرسائل، ويصفها، أو يرد عليها. ليصبح الشعر بديلاً عن النثر في تبادل الرسائل بين الأصدقاء والأصحاب والمعارف. وتمتاز هذه الرسائل الشعرية بالبساطة واللغة السهلة القريبة من لغة النثر، ومع سعة مجال توظيفه لكل فئات المجتمع وطبقاته، إذ ((ترجع أهمية هذا التراسل الشعري إلى ما له من دلالة فنية، لما يمتاز به أسلوبه من السهولة واليسر، وبعده عن التكلف والتزوير العاطفي، واشتراك جميع الطبقات فيه، من الملوك والوزراء وعامة الشعراء))[٢].

لقد وظّف شعراء الإمارة الحميدية هذا اللون من الشعر في قصائدهم، إما على شكل رسالة موجهة إلى شخصية معينة، لأمر ما ولمناسبة محددة، أو على شكل رسالة جوابية، للرد على رسالة أو كتابة موجهة إليه من قبل الآخر، وقد ترد هذه المراسلات على هيأة وصف للرسائل الواردة.

فمن الأمثلة على هذا اللون من الشعر الإخواني أبيات للشاعر الحميدي (جمال الدين علي بن درباس بن يوسف ٦٠٤-٦٧٦هـ)[٣] ، كتبها -وهو على مجلس الشراب- إلى (سعد الدولة مستوفي دمشق): (من البسيط)

عندي من الفستقِ المقشُور أحمالُ واللوزُ والجبنُ أشباهٌ وأمثالُ
فأسرعْ نهوضاً على الحيطان مُتّسقِا ولا يَعوقك تعنيفٌ وإهمالُ
فالبيتُ خالٍ ولا قطّ ولا حَرَسٌ وصاحب الطعْم غنّاءٌ وغفّالُ[١]

---

(١) مصدر سابق : ص.ن.

(٢) مصدر سابق: ١٦٣.

(٣) ينظر سيرته في: ذيل مرآة الزمان، الشيخ قطب الدين موسى بن محمد اليونيني، المجلد الثالث، بعناية وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية/ هند، من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٩٦٠: ٣/٢٧٥-٢٧٦.

إنَّ السهولة واللغة التقريرية ظاهرة على هذه الأبيات، لتنسجم مع موقف الشاعر وحالته، وطبيعة هذا اللون الشعري المخصص للمراسلة بين الأحباب والأصدقاء. كما نلمس روح المداعبة والفكاهة، لا سيّما أنها نظمت في أجواء المرح واللهو والمجون.

فقد ((اتخذ بعض الشعراء إخوانياتهم وسيلة للإمتاع والمؤانسة، فبثوا فيها روحاً فكاهية ودعابة مرحة))[٢]. كما نستنتج من نوع الشعر وأسلوبه ومن سياق نظمه بأن هذه الأبيات قد قيلت ارتجالاً، لذا اتسمت بالمباشرة والتقريرية، إذ ((جنحت لغة الشعر الإخواني إلى لغة النثر، فاتسمت بالنزعة الخطابية والمباشرة والتقريرية والركاكة، ويرجع ذلك إلى أن بعضاً من موضوعات هذا الشعر مثل المراسلات والمجاوبات كانت تعتمد على البديهية والارتجال، ممّا أدّى إلى تميّز لغة الشعر بالبساطة والسهولة، فاقتربت بذلك من لغة الحياة اليومية، وافتقرت إلى الإيحاء والتعبير والانفعال))[٣]. إذن كتبت هذه المقطوعة الشعرية ارتجالاً إلى صاحب أو صديق، لتظهر لنا الحالة الاجتماعية لهذا العصر، إذ ساد اللهو ومجالس المجون، وحياة البذخ وأجواء المرح، لتعكس الاستقرار الحضري وحياة الرفاهة والتمدن. والعلاقات الاجتماعية المتينة بين الأحبة والأصدقاء.

لقد خصّص شعراء الإمارة الحميدية بعضاً من شعرهم الإخواني لوصف الرسائل الواردة إليهم، مثل المقطوعة الشعرية لشاعر الإمارة (محمد بن إبراهيم بن خشنام، المتوفى سنة ٦٠٠هـ)، إذ يقول في كتاب ورد عليه من أحد أصدقائه: (من الكامل)

وَرَدَ الكتابُ فمرحباً بوُرودهِ ... مِن عندِ خير مُكاتبٍ ومراسلِ

فلَثمتُه من بعدِ قولي ناشطاً ... يا مرحباً بقَدومه مِن واصلِ

وخضعتُ للرّحمن جَلَّ جَلالُه ... أن يَجْمَعَنْ ما بيننا بالعاجلِ[٤]

---

(١) عيون التواريخ، محمد بن شاكر الكتبي، الجزء الحادي والعشرون، تحقيق نبيلة عبدالمنعم ود. فيصل السامر، دار الشؤون الثقافية للنشر، العراق، د.ط، ١٩٨٤: ١٥٦/٢١.

(٢) الشعر في كتاب فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي من القرن السادس حتى عصر المؤلف –دراسة موضوعية فنية–، مهنا هايل محمد الرجيلات، رسالة ماجستير، إشراف: أ. د. شفيق الرقب، جامعة مؤتة، ٢٠١٣: ٩٧.

(٣) مصدر سابق: ٢٠٨.

(٤) مصدر سابق: ٦/ ٢٩٩.

لقد صوّر الشاعر في هذه المقطوعة الشعرية التأثير الإيجابي للرسالة الواردة إليه من أحد أصدقائه، تعبيراً عن شدة تعلقه بهذه الشخصية، وكثرة محبته وشوقه له بعدما ابتعد عنه. ومن مؤشرات هذه الغبطة وتلك المشاعر المبهجة للشاعر المرسَل إليه إشارته في المقطوعة إلى تقبيل هذه الرسالة :(فلثمته)، حباً وتقديراً لصاحبها. وأردف هذه المبادرة العاطفية بدعاء وتضرع يوحي بشدة الشوق واللهفة إلى اللقاء بعد الفراق: (وخضعت للرحمن ... أن يجمعن ما بيننا). ونلمس في هذه الأبيات –كما لمسنا في المثال الشعري السابق– رقة الأسلوب وغلبة المجاملة عليها. تأثيراً بذوق العصر ورفاهيته. ولعل السبب في ذلك هو أن أدباء هذا العصر قد تأثروا بظروف العصر المتمثلة بالبذخ والترف، فرِقة أدبهم تعبير عن رِقة عاداتهم وأحوالهم.

يقول الشاعر نفسه في موضوع مشابه للموضوع السابق واصفاً كتاباً آخر ورد إليه: (من المتقارب)

أتاني الكتابُ وفَضْلُ الخطابِ لبُرد الشّباب وعَهدِ الصِّبا
من البحرِ فصلاً من القطران تراه إلى نشر علمٍ صَبا
فبرَّد عني غَليلَ البِعاد كما الصَّبُّ هبَّتْ عليه الصَّبا
وقبَّلته العشر من بعد أنْ تأملته قائلاً مرحبا[1]

ونلحظُ أنَّ الشاعر قد سلك نفس الأسلوب وعين المعاني، واصفاً سروره باستقبال الرسالة، مقبلاً إياها، وكيف أنها أسهمت في تخفيف معاناة البعاد والفراق، وقد ركّز الشاعر في هذه المقطوعة على الجناس فوظفه على نحو مكثف: (الصِّبا – صبا – الصَّبُ – الصَّبا ...). مما أسهم في توليد إيقاعية رنّانة تنسجم مع غبطة الشاعر وسروره لتلقي تلك الرسالة.

ومن شعراء الإمارة الآخرين الذين تطرقوا إلى نفس الموضوع والمعاني الشاعر (محمد بن فضلون العقري (٥٨٦–٦٢٤هـ)) إذ يقول: (من الكامل)

وصلَ الكتابُ فكان عند ورودهِ رُوحاً تردَّدَ في حُشاشةِ هالكِ
فطفقتُ أنشدُ في الجوانحِ كلِها لا يَعدَمُ المملوك جودَ المالكِ[1]

(١) مصدر سابق: ٦/٢٩٩–٣٠٠.

كما قال في مقطوعة شعرية أخرى: (من المتقارب)

قرأتُ كتابَكَ فازداد بي إليكَ اشتياقي وهاج التياعي

عسى من رَمانا ببُعدِ الديارِ يَمُنُّ علينا بقربِ اجتماعِ[٢]

فقد أثار الشاعر في المقطوعتين نفس الموضوع وعين المعاني، إذ مزج وصف الكتاب الوارد إليه بمشاعر الحنين والاشتياق إلى المرسِل، فقد أثارت الرسالة مشاعر الشوق عند الشاعر: (فازداد بي إليك اشتياقي)، لذا يرجو أن يحصل التلاقي بعد البعاد: (عسى من رمانا ببُعد الديار.. يمن علينا بقرب اجتماع). لنستنتج بأن الشاعر حريص على تمتين علاقات الود والصداقة مع الآخر، فوظّف ألفاظ المدح والثناء: (جود المالك)، حفاظاً على تلك العلاقات الإخوانية.

ولم تقتصر المراسلات الإخوانية في عهد الإمارة الحميدية على نظم رسالة شعرية أو وصف رسالة واردة، بل نجد رسائل شعرية جوابية (مجاوبات) نظمت في مناسبات وأحداث معينة، مثل مقطوعة الشاعر (جمال الدين علي بن درباس ٦٠٤-٦٧٦هـ): (من البسيط)

شكاية يا وزير العصر أرفعها ما كان يرضى بهذا مَن دلاك عَلِي

لم يَبقَ في الأرضِ مُختارٌ يرافقهُ إلاّ فتى قد بقى من وَقعة الجملِ[٣]

إنَّ هذه المقطوعة الشعرية هي رسالة جوابية من الأمير الشاعر إلى بدر الدين جعفر بن محمد الآمدي، ناظر النظّار بالشام، حينما كتب الأخير رسالة توصية إلى الشاعر، وصّاه بشخص ارتكب جناية في السابق وهو (محيي الدين بن الكويس)، فقام نائب السلطنة بالشام بتسمير هذا الشخص على جَمَل، فسميت تلك الواقعة بـ (واقعة الجمل)[٤]. إذن جاء هذا الشعر الإخواني المتمثل بالرسالة الجوابية شعراً ليعبر فيه الشاعر جمال الدين علي بن درباس عن عدم رضاه بأن يختار مرافقة (ابن الكويس) له،

(١) مصدر سابق: ١١٦/٧.

(٢) مصدر سابق: ص.ن.

(٣) مصدر سابق: ٢٧٦/٣.

(٤) ينظر: مصدر سابق: ص.ن.

وهكذا أسهمت الرسالة الشعرية في تسليط الضوء على حادثة معينة وقعت في عهد الشاعر. ونلحظ استهلال المقطوعة بلفظة (الشكاية) وعدم الرضى، منادياً الوزير بأسلوب يوحي برفض توصية الوزير على نحو ساخر، احتجاجاً على توصية الوزير لشخص غير مرغوبٍ فيه، ويدل هذا الأسلوب على المكانة العالية للشاعر، كونه كان أميراً عالي الهمة، ونفسه نفس الملوك، فقد أدار العديد من الولايات ومنها ولاية (البقاع العزيزي)[١].

وأخيراً نقول بأن المراسلات والمجاوبات الشعرية أسهمت في تنظيم العلاقات الأخوية بين الشعراء والآخرين. كما سلطت الضوء على حوادث ووقائع معينة حصلت في عهد الإمارة. وكانت تلك الرسائل الشعرية قريبة إلى النثر بأسلوب تقريري، يميل إلى لغة الحياة اليومية.

رابعاً: التهنئة والألغاز:

أقبل الشعراء لا سيّما في العصر العباسي على تبادل التهاني بواسطة الشعر، والتهنئة ((لون من الشعر الإخواني يتوجه به الشعراء إلى الملوك والأمراء والوزراء والوجهاء، راجين لهم أن يكون الأمر محل التهنئة مبعثاً لسعادتهم وسرورهم))[٢]. فجاء هذا النمط من الشعر لإيصال التهاني والتبريكات إلى ذوي النفوذ والسلطة والوجاهة .ويرى بعض الدارسين، ومنهم شوقي ضيف ،بأن شعر التهنئة قد نما وتطور من الموضوعات القديمة ومنها المديح، فيقول شوقي ضيف: ((وأول ما نقف عنده مما تفرع عن الموضوعات القديمة أو تولد منها، شعر التهاني، الذي تحول إليه شعر المديح في بعض جوانبه))[٣].

وبالانتقال إلى الإمارة الحميدية نجد حرص الناس في ذلك العصر على تبادل التهاني، إذ اهتموا بالمناسبات والأعياد لاسيّما الدينية، إذ ((يعد عيد الفطر والأضحى في مقدمة الأعياد الدينية التي احتفل بهما الكرد كسائر المسلمين، ولا تختلف مراسيمهما

(١) ينظر: مصدر سابق: ٢١/١٥٤-١٥٥.

(٢) مصدر سابق: ٩٤.

(٣) تاريخ الأدب العربي –العصر العباسي الثاني–، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٧٥: ٢٢٨.

عندهم عن بقية الشعوب الإسلامية))[١]. لذا نجد أفراد المجتمع الحميدي الكردي يهتمون بتلك المناسبات والأعياد الدينية، ومن ضمنهم شعراؤهم، فهذا الشاعر (سعيد بن سعدالله بن عيسى العقري الحميدي المعروف بـ سيدا، المتوفى سنة ٦٢٧هـ)، يهنئ الوزير والعالم المشهور شرف الدين إبي بركات المستوفي، بمناسبة حلول شهر الحج وعيد الأضحى قائلاً: (من الوافر)

نُهَنّي الشهرَ بالمولى السعيد ... أبي البَرَكاتِ ذي الكرم التليد
فعَقوَتُكَ الطّوافُ بكلِ ساعٍ ... ودارُك ما تني حجُّ العبيد
فلا بَرِحَتْ عِداتُكَ في نحُوسٍ ... ولا زالت نُجومُكَ في سُعُودِ[٢]

يظهر من الأبيات السابقة استخدام الشاعر لألفاظ التهنئة والفرح: (نُهنّي – السعيد – سُعود)، دلالة على سياق النص المخصوص للبهجة والتبريك، كما نلحظ تخصيص هذه التهاني لوجه وعالم بارز من علماء عصر الشاعر، ألا وهو (ابن المستوفي)، ونسْتدل من ذلك على أن شعر التهاني كان محصوراً لذوي المكانة والعلم. لقد التفت الشاعر في هذه التهنئة إلى مدح المهنّأ، بذكر محامده من كرم وجود، فداره – بحسب قول الشاعر– مقصد الناس وقبلة للزوار، وقد بالغ الشاعر في مدحه إلى حد أضفى القدسية على منزله ومضيافه، فساحة داره: (عَقوتك) طواف للضيوف، وداره: (حجٌّ للعبيد). فتداخلت التهنئة مع المدح والثناء.

ولم يقتصر شعر التهاني على تهنئة ذوي السلطة والوجاهة والعلم فحسب، بل نجد من خصص شعر التهنئة لأحد أقربائه، كما فعل ذلك الشاعر (عبدالباقي بن نصر العمراني (٥٧٨–٦٣٧هـ)، فقد هنّأ خاله (الصاحب معين الدين أبا القاسم)، بمناسبة عيد النحر قائلاً: (من الطويل)

تهنَّ بعيد النحر يا خيرَ صاحبٍ ... له في المعالي طارفٌ وتَليدُ
فلا زالتِ الأيامُ تأتي وتنقضي ... وأنت على رغم الحسودِ سعيدُ

(١) الحياة الاجتماعية للكورد بين القرنين (٤–٩هـ/١٠–١٥م)، د. فائزة محمد عزت، من مطبوعات الأكاديمية الكوردية، العدد (٦١)، ٢٠٠٩: ١٤٠.

(٢) مصدر سابق: ٣/ ٤٢.

ورأيُكَ فيما تبتغيه مُوَفّقٌ وفِعلَكَ في كلّ الأمورِ حميدُ
وضدّك مكبوتٌ ونِدُّكَ خاضِعٌ وظلّكَ مُخضَّرُ الجَنابِ مَديدُ
وقولُكَ مسموعٌ وأمرُكَ نافذٌ ويومُكَ مَشهودٌ ودَهرُكَ عِيدُ[1]

فبعد التهنئة بعيد الأضحى (النحر)، يوجه الشاعر– أسوة بأقرانه ممن نظموا في شعر التهاني– بسيل من المدائح والفضائل إلى خاله، ويبدو من هذا المدح رفعة مقام الممدوح وعلو شأنه: (له في المعالي طارفٌ – وقولُكَ مسموعٌ – وأمركَ نافذٌ...)، كما نستشف من الأبيات السابقة بأنه على الرغم من حرص المجتمع على تنظيم العلاقات الاجتماعية وتمتينها، كما يعكس الشعر الإخواني ذلك، فإن ثمة تنافراً وتصادماً بين أفراد المجتمع، ونستدل على هذا الأمر من خلال الألفاظ الدالة على العلاقات السلبية والمشحونة بين الممدوح وخصومه مثل: (الحسود – ضِدُّكَ – نِدُّكَ)، فهذه الألفاظ التي وظّفها الشاعر تحيلنا إلى تلك العلاقات السلبية. ومما يميز هذا الشعر الإخواني هو لغته، التي حاول الشاعر أن يبعدها عن التقريرية والنثرية، ويضفي عليها الشعرية خلافاً لأغلب الشعر الإخواني، لا سيّما باستخدامه التوازي: (وضدك مكبوت – وندك خاضعٌ – وظلك مخضر – وقولك مسموعٌ – وأمرك نافذٌ ...) ،الذي أضفى إيقاعية خاصة على الأبيات، فضلاً عن توليد الشاعر لصور شعرية كما في قوله: (وظلّك مخضرُ الجَنابِ)، وأضفت هذه الصورة اللونية (مخضّر) دلالات العطاء والحياة والسعادة على النص الشعري، لتنسجم مع مقامه وسياقه المتمثل بالتهنئة والفرح والبهجة، لأن اللون الأخضر له دلالة نفسية إيجابية تبعث السرور إلى النفوس، إذ ترسم صور الربيع والحياة.

أمّا الألغاز فهي نمط آخر من الشعر الإخواني، وقد نظم في هذا النمط كثير من الشعراء لا سيّما في العصرين العباسي والمتأخر. والألغاز ((هي جمع لغز، وأصله الحفرة الملتوية يحفرها اليربوع والضب والفأر، لأن هذه الدواب تحفر جحرها مستقيماً إلى أسفل، ثم تحفر في جانبٍ منه طريقاً، وفي الجانب الآخرِ طريقاً، وكذلك في الجانب الثالث

(١) مصدر سابق: ١٤٨/٤.

والرابع، فإذا طلب بعضها البدوّيُ بعصاه من جانب نفق من الجانب الآخر. ثم استعملوه في الإتيان بالعبارة يدل ظاهرها على غير الموصوف بها، ويدل باطنها عليه))[١].

ويرى بعض الدارسين أن الألغاز تبتعد عن الشعر والعاطفة، وتقترب من الفكر والعقل، فيقول الدكتور علي غريب بهذا الصدد: ((والألغاز لا تعتمد على إثارة المشاعر والأحاسيس، بل تتجه إلى العقل مباشرة، ومن ثم فإنها لا تمت إلى الشعر الحقيقي بأي وشيجة، وتحتاج معرفتها وفك رموزها ومعمياتها إلى حدة الذكاء، وسعة الأفق وسرعة الخاطر))[٢]. ونعتقد بأن الشعر المتضمن للألغاز على الرغم من اعتماده على جانب العقل والذكاء لفك اللغز الموجود في الشعر، بيد أنه لا يخلو من الفنية والشعرية، لا سيّما إذا كان الشاعر متمكناً في الابتعاد عن التكلف والتصنع، والإفراط في غموض اللغز وتعقيده.

وجديرٌ بالذكر أن عوامل عدة قد أسهمت في ذيوع هذا اللون من الشعر الإخواني ،لا سيّما في القرن السادس الهجري، ومنها شغف الطبقة العليا بها، وللترفيه واللهو، فضلاً عن إثبات القدرة على نظم اللغز شعراً، فحرصاً من الشعراء على مجاراة الكبار، بسبب صلتهم برجال الطبقة العليا، فقد واكب الشعراء هذا اللون المستطرف من الشعر[٣].

أمّا شعراء الإمارة الحميدية فلم تخل أشعارهم من الألغاز والأحاجي، فنجد الشاعرين الأخوين (أحمد بن علي العمراني ٦٠٠هـ –؟) و (محمد بن علي العمراني ؟ – ٦٢٢هـ) قد برعا في نظم شعر الألغاز، لا سيّما الشاعر (أحمد بن علي العمراني)، فقد برع في نظم الألغاز شعراً وفكّها، لحدة ذكائه وفهمه، فإنه في ((أي لغزٍ سمعه تسارع في حلّه وكشفه من غير توقفٍ، ولا فكرةٍ كأنه يعرفه))[٤]. ومما قاله لغزاً في القبر: (من الطويل)

ومستودعٍ كلُّ الأنامِ لهُم به وُثوقٌ وفيه الغَدرُ ضَربَة لازبِ

(١) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار ابن الحزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٨: ٥٨٣.

(٢) مصدر سابق: ١٩٣.

(٣) ينظر: الشعر العراقي في القرن السادس الهجري، مزهر عبد السوداني، دار الرشيد للنشر، العراق، د.ط، ١٩٨٠: ٨٥–٨٦.

(٤) مصدر سابق: ٢٧٦/١.

... بما يحويهِ حيناً وبرهة ويُتْلِفهُ فِعلُ العَدوِّ الموارِبِ[1]

لقد لغّزَ الشاعر في البيتين السابقتين للقبر، ويبدو أن لغزهُ بعيد عن التعقيد والغموض، كما نلحظ بعدهما عن التكلف والتصنع، ولعل السبب في ذلك هو أن هذا اللغز الشعري قد وجّه إلى عامة الناس ولم يوجّه إلى شخص خاص، لأنه ((عند النظر إلى الألغاز المطروحة للجميع "الألغاز العامة"، فإنها تبدو أقل تكلفاً من الألغاز الموجهة لشخصٍ معينٍ "الخاصة"))[2]. ومما يؤكد أن هذين البيتين لم يوجّها إلى شخص معين، هو موضوع اللغز العام: (القبر – الموت)، فضلاً عن كون الشاعر من أبناء الرؤساء في جلائل الأعمال في الدولة الأتابكية، فكان مستوفياً بالديوان الملكي البدري بالموصل[3]، لذا ليس من المعقول وهو من خاصة الناس ومتنفذيهم أن يوجه شعره الملغز إلى الخواص. ومما أسهم في ابتعاد التكلف من شعره الملغز هو إثارته لعاطفة الرهبة والخوف، لأن الموضوع الملغز يخص القبر والموت، فلا يخلو هذا اللغز الشعري من النزعة الزهدية، الداعية إلى تذكر الموت ومصير الإنسان المحتوم، فـ (كل الأنام لهم به وثوق)، إذ إن الموت الغادر لازم وواجب (ضربة لازب). وبرع الشاعر في تصوير اتلاف القبر والموت للأنام على هيئة مختالة ومباغتة ومفاجئة، مثل فعل العدو المخادع (الموارب).

ومثلما برع شاعرنا (أحمد بن علي العمراني) في الألغاز، فقد أبدع أخوه (محمد بن علي العمراني، المتوفى سنة ٦٢٢هـ) في هذا النمط من الشعر الإخواني. فقد نظّم أبياتاً شعرية لغّزَ فيها اسم (كولبهار)، وهو اسم كردي يعني (زهرة الربيع)، وقد وضعها لأصدقائه، إذ يقول فيها: (من البسيط)

يا مَن تُحَلُّ لَدَيهِ كلُّ مشكلةٍ ومَن وجدنا إليه الفضل منسوبا
ما اسمٌ إذا ما عكستَ الثلثَ مُختبراً منه يَصيرُ من الأصباغِ مَحسوبا
وإن عكستَ الذي يبقى يَكُن رَجُلاً يبغي رضا الله قَلا، أن يرى طَوبى

(١) مصدر سابق: ٢٧٧/١.
(٢) مصدر سابق: ١٤٦.
(٣) ينظر سيرته في : مصدر سابق: ٢٧٦/١.

فأوضِحِ الإسم لا زالت منائحُ ذي الـ إفضال تأتيك مَهديّاً وموهوبا[١]

ويبدو أن هذه المقطوعة الموجهة إلى أصدقائه قد أراد الشاعر بها تلهيتهم وترفيههم، فهي خالية من اللغة الشعرية والفنية، بيد أنها تظهر قدرة الشاعر وبراعته في كتابة اللّغز نظماً، كما نستشف بأن الغاية الأساسية لهذا الشعر هي تمتين علاقات الأخوة مع الأصدقاء، من خلال تسليتهم بهذا اللغز، وهي من أحد دوافع الشعر الإخواني عامةً والألغاز خاصة. ولا يخلو اختيار الشاعر لاسم كردي مؤنث (كولبهار) من دلالات عدة، ومنها تأثره بأصوله الكردية وبتراث مجتمعه الكردي وثقافته، ورقة طبعه وعواطفه الميّالة إلى العنصر الأنثوي.

ولم يقتصر شعر الألغاز عند محمد العمراني على أسماء عامة الناس، كما لاحظنا في الشاهد الشعري السابق، بل خصّصَ شعره الملغز للخواص من الملوك والسلاطين، فقال يُلغز باسم السلطان: (من البسيط)

يا مَنْ علا رُتَباً في الفضلِ ساميةَ ومَن وجدناه أكفى النّاسِ في الأدبِ
ما اسمٌ إذا ذكرت خُمسا بدايتِهِ يَظَلُّ أمراً لِحَرطِ النّصلِ ذي الشّطبِ
وإن ذُكرتَ الّذي يبقى يَظَلُّ كَمَن رَمَّ البناءَ بتُربٍ أحسَنِ التّرُبِ
وإن عكستَ المُبقَى منه صار كما تعلّقَ الأمرُ في هذا بذا السببِ
وإن جَمَعتَهُما صارا بلا رَيبٍ قَيْلاً عظيماً كَريمَ الأصلِ والنّسَبِ
فحقّق الاسمَ واغنم فيه مَحمَدَةً تَبقى على قِدَمِ الأزمانِ والحِقَبِ[٢]

ويظهر بأن الشاعر قد وجّه شعره الملغز إلى رجل من ذوي الخواص، حيث بدأ المقطوعة بالمدح والثناء لمتلقي السؤال واللغز، بنداءٍ دالٍ على التعظيم: (يا مَن علا رُتباً ...)، فله فضل عالي الرتب، كما أن له تمكن في الأدب، فجمع صفتي العلو والعلم للمنادى، كما نجد ان اللغز كما هو موجه إلى شخصية خاصة، فإنه يخص أيضاً شخصية خاصة : (سلطان). إذن فهو موجه إلى شخصية متنفذة وعن شخصية متنفذة. لذا وظّف الشاعر المدح والثناء في هذه المقطوعة سواءٌ أللمرسل إليه ،أم للاسم الملغز

(١) مصدر سابق: ٦/٣٤١.
(٢) مصدر سابق: ٦/ ٣٤١.

(أسم السلطان)، ليتناسب النص مع المقام والسياق الذي قيل فيه. فبعد مدح متلقي اللغز، وذكر اللغز، يلمح الشاعر إلى صاحب الاسم الملغز، بألفاظ دالة على المدح والثناء والتقدير: (قيلاً عظيماً – كريم الأصل – والنسبِ ...).

نستنتج من المقطوعتين الشعريتين السابقتين بأن الشاعر (محمد العمراني) كان ذا ذكاء حاد وقدرة وتمكن في إنشاء الألغاز شعراً. كما نلمس سعة علاقات الشاعر مع عامة الناس (الأصدقاء) ومع ذوي النفوذ (الأمراء والسلاطين)، إذ خصص كل لغز لشريحة معينة.

وبناءً على ما سبق يمكن القول بأن شعراء الإمارة الحميدية قد ولعوا بالإخوانيات، فنظموا في أغلب أنماطها من شكوى وعتاب ومراسلة ومجاوبة وتهانٍ وألغاز، فكان شعرهم ولغتهم وأسلوبهم تعبيراً صادقاً لقيم العصر وعاداته وثقافاته السائدة.

الخاتمة:

توصل البحث إلى عدة نتائج يمكن تلخيصها بما يأتي:

١. لقد كان للكرد دورٌ بارزٌ في خدمة التراث الإسلامي والثقافة الإسلامية، والأدب العربي، فقد برز شعراء مجيدون في عهد الإمارة الحميدية الكردية، أثرَوا بقصائدهم الأدب العربي.
٢. تعد الإخوانيات من الظواهر البارزة عند شعراء الإمارة الحميدية، فقد أكثر هؤلاء الشعراء من النظم في هذا النمط الشعري على نحو لافت، متأثرين بالأغراض الشعرية السائدة في تلك الحقبة.
٣. إن هذه الالتفاتة الكبيرة للإخوانيات من قبل شعراء الإمارة الحميدية تدل على حرص المثقفين والأدباء في ذلك العصر على تنظيم علاقاتهم الاجتماعية ،لا سيّما علاقاتهم مع ذوي السلطة والمال، تحقيقاً لمآربهم المادية والمعنوية.
٤. لقد طغى الأسلوب الحكيم ،واللغة العاطفية الرقيقة المفعمة بالمجاملة الدمثة على شعر الإخوانيات عند شعراء الإمارة، فجاء هذا الأسلوب منسجماً مع السياقات والأحوال.

٥. عكست إخوانيات الإمارة الحالة الاجتماعية والثقافية فيها، والمتمثلة بالفوارق الطبقية بين طبقتي الحكام والمثقفين، والبذخ والترف الاجتماعي والاستقرار الحضاري ، على الرغم من عدم الاستقرار السياسي.

The Brotherhood among poets from the Kurdish Hamidian Emirate

Asst.Prof. Rashad Kamal mustafa Akrawi .Ph.D

Abstract

The research studies the poetry of a group of Kurdish poets who organized poetry in the Arabic language, and lived under the Kurdish Hamidiyya Emirate, which was established between the fourth and eighth centuries AH in the Aqrah region in the Kurdistan region of Iraq, specifically between the Khazar and the Great Zab rivers, Its name - according to the opinion of most scholars - came from the name of the Kurdish (Hamidiye) tribe that ruled the region and established this emirate.

The research aims to study the phenomenon of the Muslim Brotherhood in the poetry of these poets, as it is the predominant poetic purpose of their poetry, and this purpose flourished in the late Abbasid era and at the beginning of the late ages, and revolves around social relations, depicting messages, congratulations and friendship, as well as apology and complaints.

As for the importance of the research, it lies in its dealing with Kurdish poets who contributed to the service of Arabic literature, and did not study their poetry.

Key words: The Muslim Brotherhood - the Hamidian Emirate - the poetry of reproach - the poetry of the complaint - the poetry correspondence